زبدة القول الصحيح في أخبار سيدنا المسيح

عليه السلام

لجامعها الفقير المضطر إلى ربه تعالى
مصباح ابن الشيخ أبي بكر دنباواقي
بمدينة بارولي جمهورية مالي

أضواء السلف

زبدة القول الصحيح

في

أخبار سيدنا المسيح

عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

زبدة القول الصحيح في أخبار سيدنا المسيح

عليه السلام

لجامعها الفقير المضطر إلى ربه تعالى
مصباح ابن الشيخ أبي بكر دنبا واقي

بمدينة بارولي جمهورية مالي

أضواء السلف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحزبي

الرياض - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ - جوال ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

تطلب منشوراتنا من :

مكتبة الإمام البخاري - مصر - الاسماعيلية - ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين .

أمّا بعد :

فإنّ للّه تعالى في خلقه ما يشاء وله من الاختيار ما يشاء .

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وعجائب الملكوت الربانيّة ودلائل القدرة الإلهية لا تتناهى ، وكلّ ذلك لتنبيه العقول وإرشاد الأنام فيخلق العجائب ويُبدعُ الغرائب ليتّعظ النّاس ثمّ ليتدبّروا وإنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون

ولقد كان من بين هذه الآيات والغرائب عبدُه وكلمته المسيحُ عيسى عليه السلام وعلى نبيّنا السّلام .

فقد كان عجيبا في ذاته وغريبًا في حاله وآية في حياته وعبرةً في مصيره ومآله ، حتّى شبّهه اللّه بآدم أبي البشر وخليفة اللّه تعالى في الأرض .

فعندمَا تعجّب وفد نجران من قول الرسول ﷺ أنّ عيسى عليه السلام عبد اللّه وكلمته قالوا أرنا عبدًا خُلق من غير أبٍ فقال ﷺ « آدم مَن كان أبوهُ »(١) .

فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأحرىٰ وإن جاز ادّعاء النبوّة في عيسى عليه السلام لكونه مخلوقا من غير أبٍ فجوازه في

---

(١) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج ٤ / ١٠٣ .

آدم عليه السلام بطريق الأولى ، وأنزل اللّٰه تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩](١) .

ولأهميّة شأن عيسى عليه السلام واختصاصه بمزاياه الفرديّة أولاه اللّٰه تعالى اعتناءً عظيمًا ، فبدأ تعالى قصّته من ذكر قصّة جدّه أبي مريم عمران فسمّىٰ ثالث سور القرآن الكريم باسمه سورة آل عمران وسرد حال حياته ثم حياة أمّه مريم العذراء عليهم السلام وسمّىٰ سورة أخرىٰ باسمها سورة مريم فاتحة الرّبع الثالث من القرآن الكريم ثمّ ختم قصّتهما وتوّج ذكرهما بحال المسيح عيسى عليه السلام من نُبعتِه إلى بعثته ثمّ إلى رفعه إلى السّماء فلنذكر شيئا يسيرًا من حالهما قبل التطرّق إلى المسيح عليه السلام الذى هو صُلبُ البحث تمشيا مع الخطواتِ الإلهيّة والأسلوب القرآني الكريم فنقول واللّٰه المستعان وعليه التكلان مغترفين من معين الآيات البيّنات الصّافيات الواضحاتِ :

(١) الحافظ ابن كثير تفسيره ج ١ / ٤٨٩ .

عمران : والد مريم العذراء عليهما السلام

كان عمران رجلًا عظيما في بني إسرائيل وعالمًا جليلًا من علمائها وعابدًا كريمًا من عبّادها وكان من سلالة نبي اللّٰه سليمان(١) بن داود عليهما وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم بل إنّه ينتمي إلى إبراهيم عليه السلام(٢) وذكر أن بين عمران وبين داود خمسة وعشرون أبًا سردهم الحافظ ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء بأسمائهم ، وكانتْ زوجته حنّةٌ لا تحبل .

فرأتْ يومًا طائرًا يزّق فرخًا لَهُ فاشتاقتْ إلى الولد فنذرت للّٰه تعالى إن حملتْ لتجعلنّ ولدها محرّرًا أي حبيسًا خالصًا للّٰه تعالى في بيت المقدس فحملتْ ووضعتْ حملها ولكن جاء الولد أنثى فحزنتْ لذلك شيئًا مّا لضعف الأنثى عقلًا ودينًا وكانتْ ترجو أن يأتي الولد ذكرًا ولكن اللّٰه تعالى تقبّل نذرها بقبول حسن وأنبتها نباتًا حسنًا يصف اللّٰه تعالى هذه الحالة في القرآن الكريم كما يأتي :

قال اللّٰه تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران : ٣٥ - ٣٧] .

---

(١) ذكره الحافظ في تفسيره ج ٢ / ٣٣ تحقيق سامي بن محمد السلام .

(٢) سرد أسماء ستة عشر أبًا في نفس الموضع وأنّه ينتمي إلى إبراهيم عليهما السلام أمّا في قصص الأنبياء فسرد خمسًا وعشرين أبًا - واللّٰه أعلم بالصّحة - نقله عن إمام المؤرخين محمد بن إسحاق رحمهما اللّٰه .

هذا وتوفي عمران ومريم صغيرة في السّن تحتاج إلى رعاية وكفالة فخرجتْ بها أمّها وفاءً لنذرها إلى المسجد وسلّمتها إلى العبّادِ هناك المقيمين فيه فتنازعوا عليها كلٌّ يريد أن يتولاها ويكفلها لأنّها ابنة إمامهم وشاء اللّه أن يكون من بينهم زكريا عيه السلام زوج خالة مريم ، فاتّفقوا على أن يقترعوا فيلقوا أقلامهم في الماء فأيّهم ثبت قلمه ووقف ولم يَجُرَّهُ الماء ولم يحتمله كانتْ البنتُ من نصيبه . فألقوا أقلامهم وثبت قلم زكريا عليه السلام فكانتْ من نصيبه فاحتملها وكفّلها . ولنراجع هذا المشهد من محكم التنزيل :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

* * * *

مريم العذراء أمّ المسيح عليهما السلام

مريم : ومعناها خادم الرّب[١] في اللّغة الإسرائيلية ، لقد تولّىٰ زكريا عليه السّلام بعد القرعة حضانة مريم وكفالتها فاتخذ لها مكانًا عاليًا ومحرابًا خاصًّا لا يدخله عليها فيه إلّا هو نفسه فظلّتْ هناك تعبد اللّه ليلها ونهارها منعزلةً في خلوتها مختلية وعزلتها إلى أن قالتْ لها الملائكة وبشرتها باصطفاء اللّه لها وتطهيره لها وأمرتها بالقنوت والسّجود والرّكوع لربّها تعالى .

يقول اللّه تعالى واصفًا لهذا المشهد الجليل المهيب : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢ - ٤٣] .

قال المفسرون : إنّ اللّه اصطفاكِ على نساء العالمين وطهّركِ من الكفر والإنجاس والأدناس كالحيض والنّفاس واصطفاكِ لولادة عيسى عليه السلام .

قال الأوزاعي - رحمه اللّه - فقامتْ - لربّها - حتّى ورمت قدماها وسالتْ دمًا وقيحًا وقد جاء عن الصادق المصدوق قوله ﷺ : « لم يكمل من النّساء إلّا أربع مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون وخديجة زوج محمّد وفاطمة بنت محمّد »[٢] .

وفي رواية : « خير نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية زوجة فرعون

---

(١) قاله القرطبي في الجزء ٤ / ٦٣ .

(٢) أخرجه أحمد وغيره وهو حديث حسن إن شاء اللّه . وله ما يشهد له من غير هذا اللّفظ كثيرة فهو من الأحاديث المشتهرة .

وخديجة بنت خويلدٍ وفاطمة بنت محمّدٍ »[١] عليهم السلام - ورضي الله عنهنّ .

فكان زكريا وهو يتردّد على مريم عليهما السلام يرىٰ عندها العجب العجاب فكان يجد عندها طعامًا وفواكه في غير أوانها فيجد عندها فواكه الصّيف في فصل الشّتاء وفواكه الشّتاء في فصل الصّيف فيدعوهُ ذلك العجب إلى سؤالها فيقول لها أنّىٰ لَكِ هذا ؟ فتجيب هو من عند اللّٰه إنّ اللّٰه يرزق من يشاء بغير حساب .

وبلغتْ مريم مبلغ النّساء ونضجت أنوثتها ودخلتْ فيما يقال الثالثة عشر من عمرها أو أزْيد فخرجتْ ذاتَ يوم لحاجة دعتها إلى الخروج وسارتْ شرقيّ بيتِ المقدس ففوجئتْ بشابٍّ وسيم في صورة بشر سويّ الخلقة مكتمل الصّورة فاستغربتْ وتعوّذتْ باللّٰه منه .

فبيّن لها حاله وأظهر لها مراده منها وأنّه رسول ربّها إليها من ربّ العالمين ليمنحها ولدًا فازداد تعجّبها وسألتْ وكيف يكون ذلك ، أنّىٰ يكون لها ولد ولم يمسسها بشر ولم يجامعها إنْسان من نكاح وليستْ هي بزانية .

فطمأنها الرّجل قائلا كذلك اللّٰه يخلق ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنّما يقول له كن فيكون أيّ أمرٍ كان ذلك فقط يقول له كن فيكون الأمر فورةُ وكان الرجل سفير اللّٰه إلى الرّسل وأمينه على الوحي وأقرب المقرّبين إلى حضرة القدس العليّة . إذ هو جبريل عليه السلام ولنقرأ معًا الوصف الحي الممتع

---

(١) أخرجه ابن مردويه وغيره والحديث يصحّ بمجموع طرقه إن شاء اللّٰه .

الكامل من آي الذّكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

قال اللّه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم ١٦ - ٢١] .

ثمّ نفخ جبريل في جيبها فحملتْ مريم ساعتئذٍ قيلَ حملًا عاديًا وقيل غير ذلك فقيل كان الحمل لمدّة ساعة وقيل ليوم وقيل لأيّام وقيل لشهور ، وأيًّا كان فقد حصل الحمل وقضيَ الأمر وكان أمر اللّه قدرًا مقدورًا .

ونما الحمل وحان الوضع فألجأها ألم الطلق إلى جذع النخلة فاعتمدتْ عليه فولدتْ ، وتمنّت ساعتها أن لو كانتْ ماتْ قبل ذلك ونسيها النّاس ولكنّ اللّه تعالى لا يحكم سدىٰ ولا يخلق عبثا وكلّ شيء عنده بمقدارٍ فأوحى اللّه إلى مريم - في هذه السّاعة الحرجة - بإيحاءاتٍ :

بأن لا تحزن وأن تحتها ماءً تتطهر به وأن تهزّ بجذع النخلة يسقط عليها رُطَبًا فلتأكل منه ولتشرب من الماء ، وأن تقرّ عينًا وتهدأَ بالًا وتطمئنّ نفسًا فإنّ اللّه معها ومن كان اللّه معه فما فاته شيء وإنْ رأتْ أحدًا فكلّمها فلا تجبه بل لتصمتْ فقط ، إرشاداتٌ إلهيّة سامية وتوجيهاتٌ ربانيّة عالية ووعود صادقة لابدّ من تحقّقها فلنقرأ هذا المشهد من كلام العليّ القدير :

قال تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ

جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٢ - ٢٦] .

وحملت مريمُ وليدها إلى قومها فتعجّبوا من حالها ودهشوا كثيرًا فرموها بالإفكِ واتّهموها بالزّنا وقالوا لها : يا مريم لقد جئت قبيحًا وأتيت شنيعًا أيتها المرأة الشبيهة بهارون العابد كيف أتيت هذا المنكر مع أنّ أباكِ كان صالحًا ولم تكن أمّكِ زانية .

فسكتتْ لأمر الله تعالى لها بالصّمت ، وأشارتْ لهم إلى الوليد الصغير ليكلّموهُ فازدادوا عجبًا واستشاطوا غيظا وقالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيًّا ووليدًا في اللّفائف فكلّمهم الوليد على الفور بفصل الخطاب وساطع البرهان بأنّه عبد الله ورسوله وأنّه سيكون من أمره كذا وكذا لنستمع إلى الآياتِ البيّنات تروي لنا هذا المشهد كأنّها رأي العين ـ من لدن حكيم خبير ـ لنا معًا :

قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٢٧ - ٣٣] .

ويعقّب القرآن على هذه الحوادث ويعطينا النتيجة النّهائيّة ويعطينا الصّورة

الكاملة الصّادقة لعيسى عليه السلام فيقول ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٣٤ - ٣٥] .

والآن جاء عيسى عليه السلام إلى العالم وتفتّحتْ عيناهُ على الكون وباشر مهمّته منذ فجر حياته كما رأيتَ ذلك كلّه تصديقًا لوعده تعالى وتنفيذًا لإرادته في قوله تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [مريم : ٢٠ - ٢١] لنجعله أي عيسى عليه السلام آيةً للنّاس فكان إيجاده آيةً على دلائل قدرته سبحانه وتعالى وكان آية في ملابساتِ حمل أمّه به وكان آية في مخاطبته لقومه فوْرَ الولادة كما سيكون آية وعجبًا في جميع أطوار حياته كما سترىٰ بعدُ إن شاء اللَّه تعالى ذلك إنّ اللَّه على كلّ شيء قدير سبحانه إذا قضىٰ أمرًا فإنّما يقول له كن فيكون اهـ .

* * * *

المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام

١ ـ ورد اسم **عيسى** بهذه اللّفظة خمسًا وعشرين مرة في القرآن الكريم وورد اسم أمّه **مريم** فيه أربعًا وثلاثين مرّة بينما ورد اسم جدّه **عمران** والد أمّه مريم عليهم السلام ثلاث مراتٍ ولم يكن مثل ذلك لأيّ رسول أو أي نبيّ .

٢ ـ هو واحد من الرسل الخمسة والعشرين المذكورين[١] معًا في القرآن الكريم وهم : إبراهيم ، إسحاق ، يعقوب ، نوح ، هود ، داود ، سليمان أيّوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، زكرياء ، يحيى ، عيسى ، إلياس إسماعيل ، اليسع ، يونس ، لوط ، صالح ، شعيب ، إدريس ، ذول الكف آدم ، محمّد عليهم الصلاة والسلام .

٣ ـ وهو واحد من أولى العزم الخمسة المذكور اسمهم في آية سورة[٢] الأحزاب وكذلك آية سورة الشورى[٣] وهم : نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، صلى اللّٰه عليهم وسلّم .

٤ ـ لقد سمّىٰ اللّٰه تعالى عيسى عليه السلام بأسماء خمسة[٤] في القرآن الكريم :

---

(١) إشارة الذين ورد ذكرهم في الأنعام وغيرها من السّور في القرآن

(٢) سورة الأحزاب الآية السابقة .

(٣) سورة الشورىٰ الآية الثالثة عشرة .

(٤) جمع اللّٰه هذه الأسماء كلّها ضمن آية واحدة فقال ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على اللّٰه إلّا الحقّ إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّٰه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ... ﴾ الآية [النّساء : ١٧١] .

عيسى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ .. ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

المسيح : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ .. ﴾ [المائدة : ٧٢] .

كلمة الله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ .. ﴾ [النّساء : ١٧١] .

روح الله : ﴿ ... وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ... ﴾ [النساء : ١٧١] .

ابن مريم : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمّه آية للنّاس ... ﴾ [المؤمنون : ٨٠] .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ... ﴾ [الزخرف : ٥٧] .

ولم يَحظ أحد غيره بمثل هذه المرتبة العليّة في التّسمية من عند اللّه تعالى .

٥ ـ خصّ اللّه تعالى عيسى وأمّه عليهما السلام بالحفظ من نخسة الشيطان عند الولادة فعن النبي ﷺ قال « كلّ مولود من بني آدم يمسّه الشيطان بإصبعه إلّا مريم بنت عمران وابنها عيسى »(١) .

وفي رواية « ما من مولود إلّا يطعنه الشيطان في جنبه حين يولد ... الخ » . ومصداق ذلك ما دعت به زوجة عمران حين قالت : ﴿ وإني أعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرّجيم ﴾ .

٦ ـ ولد عيسى عليه السلام بقرية بيت لحم من أرض فلسطين وخُتِنَ بعد ثمانية أيّام كما قيل ثمّ عاش مع أمّه مريم بعيدَيْنِ عن هذه القرية في ربوة مرتفعة ذاتِ أمنٍ واستقرار كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني وغيرهما وهو حديث حسن إن شاء اللّه .

وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

٧ ـ وقد نُبِّئَ من قبل اللّه تعالى وهو ابن ثلاثين عامًا وكان ذلك من آياته وخصوصياته لأنّ النبوّة لا تكون إلّا بعد بلوغ الأربعين كما هو سنّة في إرسال الرّسل على رأس هذا السنّ وجاء إرسال عيسى خلافًا لذلك .

٨ ـ لقي عليه السلام من قومه ما يلقاه الأنبياء والرسل من قبله ومن بعده من تكذيب ومعاداةٍ وتلك هي سنّة اللّه تعالى في خلقه يقول تعالى : ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ [المؤمنون : ٤٤] .

وقال أيضا : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

٩ ـ وكانت لهذه الخصوصيات في شأن عيسى عليه السلام الأثر الكبير في اختلافات أهل الكتاب في شخصيته وفي حياته .

فلم يُختلف في شأن نبيّ من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما اختُلف في شأن المسيح ولم يقع جدلٌ حول نبيٍّ أو رسول واحد من الرسل الكرام كما وقع حول نبوّة عيسى ابن مريم .

فتنازع أهل الكتاب فيه بين إفراط وتفريط وغلوٍّ وتقصيرٍ :

ففرط فيه اليهود ـ عليهم غضب اللّه تعالى ـ فتنقصوهُ ورموا أمّه بالفاحشة فقالوا في عيسى عليه السلام إنّه ولد زنًى ، كبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبًا .

وأفرط فيه النّصارىٰ ـ الضّالون لعنهم اللّه ـ وغلوا فيه ورفعوه فوق منزلة ـ بل إلى درجة ـ الربوبيّة والألوهيّة .

وقد انقسموا على أنفسهم :

- ففرقة تقول إنّه هو **الله** .

- وأخرىٰ تقول إنّه **ابن الله** .

- وثالثة تقول إنّه **ثالث ثلاثة** .

فقال تعالى ردًّا على هذه الفرق المختلفة في نبوّة وحياة المسيح عليه السّلام : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ... ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴾ [المائدة : ٧٣] .

وقال أيضا : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٣٤-٣٥] .

وهدىٰ الله الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه فقالوا ما المسيح إلّا رسول قد مضتْ من قبله الرّسل وأمّهُ صديقة كانا يأكلان الطعام ، فهو عبد الله ورسوله وآية من آياته .

١٠ - ولهذا وذاك فإنّ الحديث عن المسيح عليه السلام يتمحور حول ثلاث محاور :

الأوّل : توفيه المذكور في صريح الآياتِ

كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

وقول المسيح نفسه : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ [المائدة : ١١٧] .

الثاني : رفعه إلى السّماء من قوله تعالى ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

الثالث : نزوله إلى الأرض قبل قيام السّاعة من قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ

أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ .

وقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ [الزخرف : ٦١] .

فمن هنا ظهر لنا وسطيّة أهل السنة والجماعة بين مفْرِط ومفرِّطٍ اهـ .

فلنتناول كلّ موضوع من هذه المحاور الثلاث بالشرح والتحليل حسب الإمكان وقدر الاستطاعة فلا يكلّف اللّه نفسًا إلّا وسعها معتمدين على ما بيّنه وفصّله : حذّاق المفسرين ، وأئمة الحديث ، والعلماء الأثبات ، والرّواة الثّقات ، جهابذة النقد والتحرير وفرسان المنقول والمعقول وعلماء الفروع والأصول .
واللّه تعالى وليّ التوفيق وهو الهادي بمنّه وكرمه للصّواب عليه أعتمد وأتوكّل وبه أستعين ومنه أستلهم الرّشد والثباتَ على الحقّ والتوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الّذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنّا واغفر لنا وارحمنا أنتَ مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الآية الأولى في شأن المسيح عليه السلام

التوفي في شأن المسيح عليه السّلام :

لقد ذكر اللَّه تعالى كلمة **التوفي** في شأن المسيح عليه السّلام في آيتين :

١ - ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي **مُتَوَفِّيكَ** وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

٢ - ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا **تَوَفَّيْتَنِي** كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : ١١٧] . قال المفسرون في تفسير هاتين الآيتين :

قال القرطبي : والمعنى إنّي رافعك إليّ ومطهركَ من الّذين كفروا ومتوفّيك بعد أن تنزل من السّماء ، ومتوفّيك قابضكَ ورافعك إلى السّماء من غيرِ موتٍ قاله الحسن وابن جريج مثل توفّيتُ مالي من فلان[1] .

قال ابن الجوزي : في هذا التوفي قولان :

أحدهما : أنّه رفع إلى السّماء فمعنى قابضك من الأرض وافيًا تامًّا من غير أن ينال اليهود منك شيئا هذا قول الحسن وابن جريج وابن قتيبة واختاره الفرّاء ويشهد لهذا الوجه قوله في المائدة ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أي رفعتني إلى السّماء من غير موتٍ .

ثانيهما : أنّه الموت فيكون في الآية تقديم وتأخير أي إني رافعك إليّ ومطهّرك ومتوفيك بعد ذلك هذا قول الفرّاء والزّجاج فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفّي تعريفه أن رفعه إلى السّماء لا يمنع من موته عليه السّلام[2] .

---

(١) القرطبي ج ٤ / ٩٧ - ١٠٢ .

(٢) ابن الجوزي زاد المسير ج

قال ابن كثير : قال الأكثرون المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ ، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ وكان النبي ﷺ إذا قام من النوم قال : الحمد لله الّذي أحيانا بعدما أماتنا[١] .

قال النسفي : متوفّيك أي مستوفٍ أجَلك ومعناه : أني عاصمك من أن تقتلك الكفّار ومعيتك حتف أنفك لا قتلًا بأيديهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض ومميتك في وقتك بعد نزولك إلى الأرض ورافعك الآن ، إذ الواو لا توجب الترتيب أو متوفيك بالنّوم ورافعك وأنت نائمٌ حتّى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السّماء آمن مقرّبٌ[٢] .

قال في تفسير الجلالين[٣] : متوفّيك قابضك ورافعك إليّ من الدّنيا من غير موتٍ .

قال في تفسير المؤمنين[٤] : متوفّيك آخذكَ إليّ وافيًا وليس معناه مميتك كما عليه جمهور المفسّرين وهو لم يمتْ وسينزل آخر الزّمان مؤيّدًا للإسلام ثم يموت كما ورد في الأحاديث الصحيحة .

قال الشوكاني[٥] رحمه الله : احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر لأنّ الصّحيح أنّ الله رفعه إلى السماء من غير وفاة كما رجّحه كثير من المفسرين واختاره الطبري ووجّه ذلك أنّه قد صحّ في الأخبار عن النبي المختار ﷺ نزوله

(١) تفسير ابن كثير ج ١ / ص ٣٦٦ .

(٢) مدار التنزيل وحقائق التأويل ج ١ / ٢٣٤ .

(٣) تفسير الجلالين ص ٥٣ .

(٤) تفسير المؤمنين ص ٤٤ .

(٥) فتح القدير ج ١ / ٣٤٣ .

وقتلهُ الدّجال ووضعه الجزية وصلاته خلف إمام المسلمين .

قال الصابوني[١] وفقه الله : أي رافعك إلى السّماء ثم مميتك بعد استيفائك كامل أجلك قال القرطبي والصّحيح أنّ اللّه رفعه إلى السّماء من غير وفاة ولا نوم كما قاله الحسن وابن زيد وهو اختيار إمام المفسّرين الطبري وهو الصّحيح عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ وغيره .

قال الحازمي[٢] : اختلفوا في معنى التوفي على طريقتين .

الطريقة الأولى : على وجوهٍ ستّة منها :

١ ـ إنّي قابضك ورافعك إليّ من غير موتٍ من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تامًّا والمقصود منه هنا أن لا يصل أعداؤه من اليهود إليه ليقتلوه ولا غيره .

٢ ـ التوفي النوم فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه اللّه تعالى وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية إنّي مميتك ورافعك إليّ .

٣ ـ المراد حقيقة الموت . قال ابن عبّاس : إنّي مميتك .

قال وهب بن منبه توفّاهُ اللّه ثلاث ساعاتٍ من النّهار ثمّ أحياهُ ورفعه . وقيل إنّ النّصارىٰ يزعمون أنّ اللّه توفّاهُ سبعَ ساعاتٍ من النّهار ثُمّ أحياهُ ورفعه إليه .

٤ ـ التوفي أخذ الشيء وافيًا ولمّا علم اللّه تعالى أنّ من النّاس من يخطر بباله أن الّذي رفعه اللّه إليه هو روحه دون جسده ردّ عليهم بقوله إني متوفيك

---

(١) صفوة التفاسير ج ١ / ٢٠٥ .

(٢) لباب التأويل ج ١ / ٢٣٤ .

ورافعك إليّ فأخبر تعالىٰ أنّه رفعه بتمامه بروحه وجسده (ويبقى وجهان آخران) .

الطريقة الثانية : أنّ في الآية تقديما وتأخيرًا تقديره إنّي رافعك إليّ ومطهّرك من الّذين كفروا ومتوفّيك بعد إنزالك إلى الأرض .

هذه جملة ما أوردته كتب التفاسير بأيدينا عن معنى كلمة التوفّي وفيها للمنْصِفِ كفاية إن شاء اللّه تعالى وإليك جملة ما قالوهُ وما يشير إليه أقوالهم في النقاط التالية .

١ ـ هو قبضه إليه وافيًا كاملًا من غير أن يناله شيء من اليهود لا قتل ولا غيره .

٢ ـ أنّه ردّ على من قد يزعم أنّه رُفع بروحه فقط دون جسده فتوفّاه الله تعالى أي أخذه ورفعه إليه وافيًا بروحه وبجسده معًا .

٣ ـ أنّه بمعنى النوم لأنّه يسمّىٰ وفاة كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ وقوله : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ وكذلك منه دعاء النبي ﷺ حين كان يقوم من النوم فيقول : « الحمد للّه الذي أحيانا بعدما أماتنا » فرفعه نائما لئلا يخاف .

٤ ـ أنّه موت حقيقي ولكن كان لمدّة ثلاث ساعاتٍ ـ كما قال ابن عباس ـ من النّهار وقيل لمدّة سبع ساعات كما زعمته النّصارىٰ وادّعته ثمّ أحياهُ اللّه تعالى على كلا القولين جميعا فرفعه إليه .

٥ ـ أن الواو في العبارة لا تدلُّ على الترتيب فالمعنى رافعك إليّ ثمّ متوفّيك (مميتك) بعد نزولك إلى الأرض .

وحتّى الّذين فسّروها بالموت قالوا إنّ الآية على التقديم والتأخير فمعناه عندهم : رافعك إليّ ومطهّرك ومتوفّيك بعد ذلك .

فهذه الخلاصة نستخلصها من أقوال هؤلاء العلماء مفسّري الأمّة الإسلامية فنكتفي بها وفي هذا كفاية لمن أنصف وبالعلم والتقوىٰ يجب أن يتّصف المسلم ويخشى ربّه فلا يتكلم بالأقوال النابية وخاصة في عباد اللّٰه المؤمنين الأبرياء فكيف في حقّ نبيّ مرسلٍ رابع أولي العزم عليهم الصّلاة والسّلام أجمعين هذا والعلم عند اللّٰه تعالى .

* * * *

ما جاء في كتب الحديث

أما كتب الحديث فقد تناولتْ الموضوع أيضا :

قال ابن حجر[١] : وقد اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه والأصل فيه قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ فقيل على ظاهره وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدّة المقدّرة له يموت ثانيًا وقيل معناه متوفيك من الأرض فعلى هذا لا يموت ولم يمتْ إلّا في آخر الزّمان وهو الرّاجح .

قال الأبي[٢] والسنوسي : الأكثر على أنّه لم يمتْ بل رُفع ويحتمل أنّه ماتَ حقيقة ويحيًا في آخر الزمان إذ لابدَّ من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك .

قال ابن أبي[٣] حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد اللّه بن أبي جعفر عن أبيه حدثنا الربيع بن أنس عن الحسن أنه قال في قوله تعالى : ﴿ إنّي متوفيك ﴾ يعني وفاة المنام رفعه اللّه في منامه قال الحسن قال رسول اللّه ﷺ لليهود إنّ عيسى لم يمتْ وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة[٤] » .

ولنختم هذا المبحث بكلامٍ فصلٍ وبيانٍ ساطع وبرهان واضح حرّره الشيخ الشنقيطي رحمه اللّه في كتابه « زاد المسلم مع شرحه فتح المنعم »

---

(١) فتح الباري ج ٦ / ٦١٠ .

(٢) على صحيح مسلم الأُبي ج ١ / ٢٦٥ .

(٣) نقلا عن ابن كثير في تفسيره ج ١ / ٤٨٨ .

(٤) هذا الخبر في الظاهر أنّه منقطع فهو ضعيف .

كليهما له فقال رحمه الله : « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »(١) .

قال في شرحه بعد كلام طويل ما ملخصه : « فنزول عيسى لاشكّ فيه لتواتر أحاديثه الواردة في نْزوله ومدّة مكثه في الأرض وقتله الدّجال وتزوجه بعد نزوله والحكمة في نزوله دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الرّد على اليهود حيث زعموا أنّهم قتلوه » ...

ثمّ قال : « تنبيه : يجب شرعًا اعتقاد أنّ عيسى عليه الصّلاة والسلام لازال حيًّا إلى الآن وأنّه لابدّ أن ينزل آخر الزّمان حاكمًا بشرع نبيّنا محمدٍ عليه الصلاة والسلام ومجاهدًا في سبيل اللّه تعالى كما تواترت عن الصادق المصدوق وإنّما وجب اعتقاد ذلك ؛ لأنّ اللّه تعالى أخبر في كتابه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنّ اليهود ما قتلوه وأنّه تعالى رفعه كما قال تعالى : ﴿ وما قتلوه يقينًا بل رفعه اللّه إليه ﴾ ووردتْ الأحاديث المتواترة كما سبق أنّه ينزِل في آخر الزّمان حكمًا عدلًا فيكسر الصّليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتّى لا يقبله أحد وغير ذلك من الأحاديث المصرّحة بنزوله وبمدّته حيًّا في الأرض بعد نزوله ولم يصحّ حديث بموته تمكن معارضته لما صحّ بالتواتر من نزوله في آخر الزّمان وإذا أخبر القرآن بأنّه رُفع ولم يقتل وبيّن النبي ﷺ لنا أنّه سينزل في آخر الزّمان وفصّل لنا أحواله بعد نزوله

---

(١) حديث متفق عليه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء مسلم كتاب الإيمان (باب نزول عيسى ابن مريم) كليهما معًا .

تفصيلا رافعًا لكلّ احتمالٍ وجب اعتقاد ذلك على كلّ مسلمٍ ومن شكّ فيه فيكون كافرًا بإجماع الأمّة لأنّه ممّا علم من الدّين ضرورة بلا نزاع ، وكلّ إيرادٍ عليه من الملاحدة والجهلة باطل لا ينبغي لكلّ من اتّصف بالعلم أن يلتفت إليه فإن ظنّ بعض من لا تحقيق له أن قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ فيه دليل على أنّه ماتَ قبل رفعه ثمّ رُفع ميتا فيُردُّ عليه بأن هذا الفهم مخالف لما عليه علماء السنّه المطهرة بل معناه إنّي متوفيك بعد الرفع وبعد نزولك إلى الأرض في آخر الزّمان أو متوفّيك وفاةً عند تمام أجلك إعلامًا له بأنّ اليهود لا تتوَلّى قتله كما يدلّ عليه قوله تعالى ومطهركَ من الّذين كفروا اي مبعدكَ منهم لثبوتِ ذلك بالأحاديث المتواترة وقد بيّن اللّه لنا في كتابه العزيز أنّ النبي ﷺ هو الّذي يبيّن للنّاس ما نزل إليهم بقوله تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد بيّن لنا بالتواتر أنّه ينزل في آخر الزمان ويجاهد ويقاتل الدّجال ويتزوّج ويولد له كما سبق وقد عُلمتْ أنّه لم يصحّ شيء في موته من الأخبار عن النبي المختار ﷺ(١) » اهـ .

* * * *

---

(١) كلّها للشيخ الشنقيطي في كتابه زاد المسلم وشرحه له أيضًا فتح المنعم ج ١ / ص ٣٢٩ رقم الحديث ٥٦٦ وهو بتصرّف يسير .

الآية الثانية في شأن المسيح عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٧] .

المعنى

١ ـ تنفي الآية نفيًا قاطعًا دعوىٰ اليهود في قتل عيسى عليه السلام وصلبه (وما قتلوه وما صلبوه . وما قتلوه يقينا) .

٢ ـ أنّهم في شأن عيسى عليه السّلام في اختلاف قال القرطبي معنى اختلافهم : أنّه إله ابن اللّه ـ أنّه ثالث ثلاثة ، وإن كان هو عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم قتلناه و .. و .. وآخرون رُفع إلى السّماء .

٣ ـ إثبات أنّ عيسى عليه السلام سيؤمن به كلّ يهودي ونصرانيٍّ حين ينزل من السّماء وقبل أن يموت ـ أي عيسى نفسه ـ هذا مجمل المعاني للآية الكريمة .

قال في تفسيره(١) : يقول الطبري سيؤمن أهل الكتاب كلّهم بعيسى ابن مريم نبيًّا مرسلًا حين ينزل من السّماء قبيل الساعة .

---

(١) تفسير المؤمنين ص ٨٢ .

قال في تفسير الجلالين[١] : إلّا ليؤمننّ به أي بعيسى عليه السلام قبل موته أي موت الكتابيّ أو قبل موتِ عيسى لمّا ينزل قرب السّاعة .

قال الصّابوني[٢] : نجاهُ اللّه تعالى من شرّهم فرفعه إلى السماء حيًّا بجسده وروحه كما دلّتْ على ذلك الأحاديث الصّحيحة المتواترة واختار الطبري أن المعنى لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلّا ويؤمن بعيسى قبل موتِ عيسى عليه السلام لمّا ينزل قرب السّاعة .

قال ابن الجوزي[٣] : روىٰ عطاء عن ابن عباس قال إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصرانيّ ولا أحد يعبد غير اللّه إلّا اتّبعه وصدّقه وشهد أنّه روح اللّه وكلمته وعبده ونبيّه وهذا قول قتادة وابن زيد وابن قتيبة واختاره ابن جرير وذلك أنّ الضّمير يعود إلى عيسى عليه السلام .

قال الشوكاني[٤] : بل رفعه الله إليه ردّ عليهم وإثباتٌ لما هو الصّحيح والمعنى وما من أهل الكتاب أحد إلّا واللّه ليؤمننّ به قبل موته ... وقد اختار كون الضمير لعيسى ابن جرير وقال به جماعة من السّلف وهو الظاهر والمراد الإيمان به عند نزوله في آخر الزمان كما وردتْ بذلك الأحاديث المتواترة ثمّ ذكر تفسيرًا آخر للآية اهـ .

وذهب بعض التابعين فمن بعدهم إلى أن المراد قبل موت عيسى عليه السلام

---

(١) تفسير الجلالين ص ٥٢ .

(٢) صفوة التفاسير ج ١ / ٣١٧ .

(٣) زاد المسير ج ٢ / ٢١٩ .

(٤) فتح القدير ج ١ / ٥٣٤ .

كما رُوي عن ابن عبّاس ـ رضي اللّه عنهما ـ وقيّده كثير بأنّه يؤمن به من أدركه عند نزوله حسبما أوضحنا ذلك في مؤلّف مستقلٍّ يتضمّن ذكر ما ورد في المنتظر والدّجال والمسيح .

قال الألوسي[١] : بل رفعه اللّه تعالى إليه يقينا وهو حيٌّ في السّماء الثانية على ما صحّ عن النبي ﷺ في حديث المعراج وهو هناك مقيم حتّى ينزل إلى الأرض فيقتل الدّجال ويملؤ الأرض عدلًا كما ملئتْ جورًا ثم يحيا فيها أربعين سنة أو تمامها من سنّ رفعه وهو ثلاث وثلاثون سنة ويموت كما يموتُ البشر ويدفن في حجرة النبي ﷺ أو في بيت المقدس .

قال ابن كثير[٢] : الضمير في قوله تعالى قبل موته عائد على عيسى عليه السلام أي وإن من أهل الكتاب إلّا ليؤمننّ بعيسى وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ثمّ أورد أدلة القول بعود الضمير إلى عيسى في صفحة ٥٧٣ ثمّ أحاديث نزوله إلى الأرض في الصّفحات ٥٧٨ ـ ٥٨٤ فليراجع ذلك .

قال الصابوني : وأولى هذه الأقوال بالصّحة القول الأوّل وهو أنّه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلّا آمن به قبل موت عيسى . ولا شك أن هذا الّذي قاله ابن جرير هو الصّحيح لأنّه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادّعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه فأخبر اللّه تعالى أنّه لم يكن الأمر كذلك وإنّما شُبّه لهم فقتلوا الشبيه به وهم لا يتبينون

---

(١) روح المعاني ج ٦ / ص ١٠ / ١٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ / ٣٦٦ .

ذلك ثمّ أنّه تعالى رفعه إليه وأنّه باقٍ حيٌّ وأنّه سينزل قبل يوم القيامة كما دلّتْ عليه الأحاديث المتواترة التّي سنوردها . فأما من فسّرها بأنّ المعنى أنّ كلّ كتابيٍّ لا يموتُ حتّى يؤمن بعيسى أو محمّدٍ عليهما الصّلاة والسّلام فهذا هو الواقع وذلك أنّ كلّ أحدٍ عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلًا به فيؤمن به ولكن لا يكون إيمانًا نافعًا له[١] .

(١) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد علي الصابوني ج ١ / ٤٥٨ صاحب صفوة التفاسير .

الآية الثالثة في شأن المسيح عيسى عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوٓا ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٥٧ - ٦١]

المعنى

أنّ نزول عيسى عليه السلام من السّماء علامة من علامات قيام الساعة وضُعِّفَ كون الضمير راجعًا إلى القرآن الكريم كما ورد ذلك عن الحسن وقتادة وابنِ جبير لأنّه لم يجر له ذكر هنا مع عدم مناسبة ذلك للسياق .

قال في الجلالين : وإنّه أي عيسى عليه السلام لعلم للسّاعة تعلَمُ بنزوله[١] .

قال في تفسيره : أن نزول عيسى ابن مريم أمارة من أماراتِ الساعة فلا تشكُّوا بوقوعها[٢] .

قال في الميسر : أي علامة واضحة يعلم بها قرب السّاعة[٣] .

قال الصابوني : وأنّ عيسى عليه السلام علامة على قرب الساعة قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة أن خروج عيسى عليه السلام من أعلام الساعة

(١) تفسير الجلالين ص ٤٠٣ .

(٢) تفسير المؤمنين ص ٣٩٤ .

(٣) المصحف الميسّر ص ٦٥٣ .

لأنّ اللّه تعالى ينزله من السّماء قبل قيام السّاعة[١] .

قال ابن الجوزي : نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة يعلم به قربها وهذا قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والضّحاك وأبو هريرة ومالك بن دينار والسدي[٢] وبعضم قرأ : ﴿ لَعَلَمٌ ﴾ بدل ﴿ لَعِلْمٌ ﴾ .

قال الأَلوسي[٣] : وإنّه أي عيسى عليه السلام لعلم للساعة أي أنّ نزوله شرط من أشراطها وقد نطقتْ الأخبار بنزوله فقد قال ﷺ من حديث أبي هريرة : « لينزلن فيكم ابن مريم حكما عدلًا[٤] .. الخ » والمشهور نزوله بدمشق والناس في صلاة الصّبح فيتأخّر الإمام وهو المهدي المنتظر فيقدّمه عيسى ويصلّي خلفه مقتديًا دفعًا لتوهم نزوله ناسخا لهذه الشريعة .

قال القرطبي : قال ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك والسدي وقتادة أنّه خروج عيسى عليه السلام ، وذلك من أعلام السّاعة لأنّ اللّه تعالى ينزله من السّماء قبيل قيام السّاعة كما أن خروج الدّجال من أعلام السّاعة[٥] .

فيؤخذ من تفاسير هذه الآيات ما يلي : أنّ

١ ـ التوفّي في شأن عيسى عليه السلام هو غير الموت .

٢ ـ رفع حيًّا بروحه وبجسده على خلاف هل مات ثُمَّ أحيي فرفع أو لم

---

(١) صفوة التفاسير ج ٣ / ١٦٢ .

(٢) زاد المسير ج ٧ / ١٠٤ .

(٣) روح المعاني ج ٢٥ / ٩٥ .

(٤) الحديث صحيح عند البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه كلّهم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ / ١٠٥ .

يمتْ أصلًا وهو الأظهر .

٣ ـ لا يزال حيًّا في السماء الثانية .

٤ ـ وجوب الاعتقاد برفعه ثمّ بنزوله آخر الزمان وأن المنكر لذلك كافر بالإجماع .

٥ ـ رفعه لا يمنع من موته بعد نزوله وحمل ﴿إنّي متوفيك﴾ على ذلك لدىٰ من فسّره بالموت على أنّ في الآية تقديما وتأخيرًا وأن الواو لا توجب الترتيب .

٦ ـ إيمان كلّ كتابيٍّ بعيسى عليه السلام بعد نزوله وقبل موت عيسى نفسه ويبقى علينا الآن إيراد ما تيسّر جمعه من الأحاديث المتواتر القطعية الثبوت عن النبي ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلّا وحيٌ يُوحىٰ إليه من عند ربّه تعالى .

* * * *

أحاديث نزول عيسى عليه السلام متواترة

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال قال رسول اللَّه ﷺ « والّذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطًا فيكسر الصّليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتّى لا يقبله أحد » .

تخريجه : فقد أخرجه كلٌّ من :

البخاري : في كتاب البيوع باب قتل الخنزير ج ٣ / ص ٤٠ .

البخاري : في كتاب أحاديث الأنبياء باب نزول عيسى ج ٤ / ١٤٣ .

مسلم : في كتاب الإيمان باب بيان نزول عيسى حاكما بشريعة نبيّنا محمد ﷺ ج ١ / ص ٩٣ .

الترمذي : في كتاب الفتن باب ما جاء في نزول عيسى ج ٤ / ص ٤٣٩ .

فالحديث كما يظهر صحيح بل متفق عليه عند الشيخان من طريق أبي هريرة .

٢ ـ عن النوّاس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ في حديث طويل جدًّا قال : « فبينما هو كذلك إذ هبط عيسى ابن مريم شرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللّؤلؤ فيطلبه « أي يطلب الدّجال » حتّى يدركه بباب لدٍّ فيقتله ... » وفي بعض رواياتِ الحديث وكلّها صحيحة « واضعًا كفيه على أجنحة ملكين »

تخريجه : فقد أخرج الحديث كلٌّ من :

مسلم : كتاب الفتن باب ذكر الدّجال وصفته ... ج ٨ / ص ١٩٦ .

الترمذي : كتاب الفتن باب ما جاء في فتنة الدّجال ج ٤ / ص ٤٢٢ .

أبو داود : كتاب الملاحم باب خروج الدجّال ج ٤ / ص ١١٥ .

ابن ماجة : كتاب الفتن باب فتنة الدجّال ج٢ / ص ١٣٥٦ .

كلّهم عن النّواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ والحديث صحيح .

٣ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال قال رسول اللَّه ﷺ « واللَّه لينزلنّ ابن مريم حكما عادلًا فليكسرّن الصّليب وليقتلنّ الخنزير وليضعنّ الجزية ولتتركنّ القلاص فلا يسعى عليها ولتَذْهبنّ الشحناء والتباغض والتحاسد ولتدعوُنّ إلى المال فلا يقبله أحد »(١) .

٤ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال رسول اللَّه ﷺ « لا تزال طائفة من أمتّي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صلّ لنا فيقول لا إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه لهذه الأمّة »(٢) .

٥ ـ عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ قال النبي عليه الصلاة والسلام « يخرج الدّجال في أمّتي فيمكث أربعين ـ قال الراوي لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا ـ فيبعث اللَّه عيسى ابن مريم كأنّه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه » وفي رواية الحديث « أنّه ـ المسيح عليه السلام ـ يمكث سبع سنواتٍ »(٣) .

٦ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنّه قال « والّذي نفسي

---

(١) مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى حاكما ج ١ / ص ٩٤ عن أبي هريرة .

(٢) مسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى حاكما ج ١ / ص ٩٥ عن جابر .

(٣) مسلم كتاب الفتن باب في خروج الدّجال ج ٨ / ٢٠١ عن عبد اللَّه بن عمرو .

بيده ليهلنَّ ابن مريم بفج الرّوحاء(١) حاجًا أو معتمرًا أو ليثنيهما »(٢) .

٧ ـ قوله ﷺ « يقتل ابن مريم الدّجال بباب لُدٍّ »(٣) .

٨ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنّه قال « ليس بيني وبينه ـ أي عيسى ـ نبيٌّ وإنّه نازل فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمر والبياض بين ممصّرتين كأنّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدقُّ الصّليب ويقتل الخنزير ... فيمكث في الأرض أربعين سنة ثمّ يتوفّى فيصلي عليه المسلمون »(٤) .

٩ ـ قوله ﷺ « أنّ عيسى ينزل على المسلمين ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدّم ليصلي بهم الصّبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصّبح فرجع الإمام ينكص يمشى القهقرى ليتقدّم عيسى فيصليّ بالنّاس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدّم فصلّ فإنّها لكَ أُقيمتْ فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدّجال ومعه سبعون ألف يهودي كلّهم ذو سيفٍ محلّى وساجٍ » وفيه فيدركه عند باب اللدِّ الشرقي فيقتله(٥) .

---

(١) مسلم كتاب الحجّ باب إهلال النبي ﷺ ج ٤ / ص ٦٠ عن أبي هريرة .

(٢) فجّ الروحاء : هو الطريق الّذي سلكه المصطفى إلى بدرٍ وإلى مكّة في مسير الفتح وحجّة الوداع .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجّال ج ٤ / ص ٤٤٧ عن مجمّع بن جارية .

(٤) أخرجه أبو داود كتاب الملاحم باب خروج الدجّال ج ٤ / ص ١١٥ عن أبي هريرة .

(٥) أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن باب فتنة الدجّال ج ٢ / ص ١٣٥٩ .

١٠ ـ عن ابن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ قال رسول اللّه ﷺ « بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف أو يهراق رأسه ماءً قلت من هذا ؟ قالوا ابن مريم »(١) .

١١ ـ وعنه قال قال رسول اللّه ﷺ « أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجُلًا آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أُدم الرجال له لمّة كأحسن ما أنتَ راءٍ من اللّمم قد رجّلها فهي تقطر ماءً متكئًا على رجلين أوعلى عواتق رجلين يطوف بالكعبة فسألتُ من هذا قيل هذا المسيح ابن مريم(٢) .

لقد تبين الآن الحقّ جليا واضحًا في مسألة رفع المسيح عليه السلام وفي مسألة نزوله وفي معنى كلمة التوفي من نصوص الآيات وواضحاتِ الأحاديث فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال . ومن يرد اللّه فتنته فلن تملك له من اللّه شيئًا أولئك الذين لم يرد اللّه أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم .

* * * *

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجّال ج ٨ / ص ١٠٢ / وكذلك مسلم كتاب الإيمان باب في ذكر المسيح ج ١ / ١٠٧ .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما جاء في صفة عيسى ابن مريم والدجّال ج ٢ / ٢١٩ .

بقايا أخباره عليه السّلام

ولنختم الكلام في النّهاية بسرد ما تيسر من بقايا أخباره عليه السّلام إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب :

١ ـ أقامته ولبثه في الأرض :

في رواية لمسلم عن ابن عمر ـ رضي اللّه عنه ـ من باب خروج الدّجال ومكثه في الأرض من كتاب الفتن أن مدّة إقامته بعد نزوله سبع سنواتٍ .

وورد ذلك في روح المعاني [٦ / ١٠ ـ ١٣] وقال إنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين .

وذكر الشيخ الحسينيّ في كتابه الإشاعة لأشراط السّاعة ص ٣٠٣ في حديث عند الطبراني وابن عساكر عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال « ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في النّاس أربعين » . وأورد حديثا آخر عند ابن أبي شيبة وأحمد وأبي داود وابن جرير وابن حبّان أنّه يمكث أربعين سنة ثمّ يتوفّى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه عند نبيّنا محمد ﷺ . اهـ

وأورد ابن كثير حديث الأربعين عن أبي هريرة ثمّ حديث السبع عن ابن عمر عند مسلم ـ رضي اللّه عنهم ـ ثُمّ قال : فيحتمل ـ واللّه أعلم ـ أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله لأنّه رفع وله ثلاث وثلاثون على الصّحيح من العُمر فتكون رواية السبع تتميمًا للأربعين حينئذٍ اهـ قال الأبي والسنوسي [١ / ٢٦٥] عن ابن العربي : ويمكث على الأصحّ سبعة أعوامٍ اهـ .

٢ ـ زواجه بعد نزوله عليه السلام :

نقل في كتاب الإشاعة ص ٣٠٥ في حديث لابن الجوزي عن عبد اللّٰه بن عمر ـ رضي اللّٰه عنهما ـ مرفوعًا : ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ، وفي الأبي على مسلم [١ / ٢٦٥] : عن ابن العربي ويروى أنّه يتزوّج امرأةً من بني ضبّة اسمها راضية .

٣ ـ مدفنه :

وقع الخلاف في مدفن المسيح بعد الاتّفاق على أنّ المسلمين يصلّون عليه بعد وفاته فقيل يدفن في بيت المقدس وقيل مع الرسول ﷺ في حجرته ففي كتاب الإشاعة لأشراط السّاعة ص ٣٠٥ ما نصه : أخرج البخاري في تاريخه والطبراني وابن عساكر قال يدفن عيسى ابن مريم مع رسول اللّٰه ﷺ وصاحبيه فيكون رابعًا من القبور .

وفي فتح الباري على صحيح البخاري في باب إثم من دعا إلى ضلالة من كتاب الاعتصام عند حديث الاستئذان لعمر عن عائشة في دفنه مع صاحبيه أنّ عيسى ابن مريم يدفن مع النبي في حجرته عليهما الصلاة والسلام . اهـ

وفي الفتح أيضا والإشاعة : أخرج الترمذي وحسّنه وابن عساكر عن عبد اللّٰه بن سلام قال : مكتوب في التّوراة صفة محمّد ﷺ وعيسى ابن مريم يدفن معه قال أبو داود وهو أحد رواة الحديث وقد بقي في البيت موضع قبره اهـ .

وأورد الحافظ ابن حجر أثرين آخرين ضعّفهما قال ابن العربي كما في الأُبي أنّه يدفن في روضة النبي ﷺ وفيها موضع قبر ويقال إنّما بقي له اهـ وفي روح

المعاني [٦ / ١٠ - ١٣] ويدفن في حجرة النبي ﷺ أو في بيت المقدس ، وفي كتاب التذكرة للقرطبي ص ٦٧٩ واختلف حيث يدفن المسيح فقيل بالأرض المقدّسة وقيل يدفن مع المصطفى عليهما السلام .

وقال ابن كثير في تفسيره : [١ / ٧٧٧] : « وذكر الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة عيسى ابن مريم من تاريخه عن بعض السّلف أنّه يدفن مع النبي في حجرته فاللّٰه أعلم ذكره في آخر فصلِ صفةِ عيسى عليه السلام » اهـ

وفي لباب التأويل : يدفن في حجرة الرسول فيقوم أبو بكر وعمر بين نبيّين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام [١ / ٢٣٤] .

نكتة لطيفة

ورد في لباب التّأويل أن بعضهم سئل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلًا ، وذلك لأنّه لم يكتهل في الدّنيا وإنّما معناهُ وكهلًا بعد نزوله من السّماء .

تنبيه

المذكور في الحديث التّاسع عند ابن ماجه من أحاديث نزوله أنّه ينزل والمسلمون في صلاة الصّبح ، وكذلك ذكرهُ ابن كثير أن نزوله عند إقامة صلاة الصّبح ، ولكن ورد في لباب التّأويل ما نصّه ويروىٰ أنّه ينزل وبيده حربةٌ وهي التي يقتل بها الدّجال فيأتي بيت المقدس والنّاس في صلاة العصر فيتأخّر الإمام فيقدّمه عيسى ويصلي خلفه ويقتدي به اهـ .

٤ ـ الحكمة من نزوله عليه السّلام :

١ ـ الردّ على اليهود في زعمهم قتله .

٢ ـ دنوّ أجله ليدفن في الأرض .

٣ ـ حصوله على صحبة النبي ﷺ بناءً على طلبه لها .

قد ذكر هذه الحِكَم كلّ من زاد المسلم ٤ / ٧١ ـ ٧٦ والتذكرة ٦٧٨ فصلُ الحكمة في نزوله .

٥ ـ أطوار حياته عليه السّلام :

وهي ثلاث أطوار كالتّالي :

١ ـ رفعه إلى السّماء وهو قطعي الثبوت والإيمان به واجب .

٢ ـ وهو هيئة الرّفع هل كان منامًا أو كان بدون قوتٍ أو بإحياءٍ بعد الموت فهذا محلّ النزاع بعد الاتّفاق على أنّه وقع له حيًّا وموضع الخلاف هل أحيي بعد موتٍ أم لا وهذا لا يضرّ نفيه ولا الخلاف فيه واللّه أعلم .

٣ ـ نزوله إلى الأرض وهو قطعي الثبوتِ والإيمان به واجب والشَّكُّ في واحدٍ من الأولى والثالثة أو نفيه كفر والعياذ باللّه .

ولقد عدّد النبيّ ﷺ آياتٍ للساعة فيها نزول المسيح فقال فيما رواهُ ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن ، « عن حذيفة ـ رضي اللّه عنه ـ قال اطّلع علينا رسول اللّه ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر السّاعة فقال لا تقوم الساعة حتّى تكون عشر آياتٍ طلوع الشمس من مغربها والدجّال والدخان والدّابة ويأجوج ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف

بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق النّاس إلى المحشر تبيتُ معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا » .

قال العلماء : والحكمة في تقديم الأشراط تنبيه النّاس عن رقدتهم وحثّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتّوبة والإنابة فينبَغي للنّاس أن يكونوا بعد ظهور الأشراط قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدّنيا واستعدّوا للساعة الموعود بها من التذكرة ص ٦٢٤ .

تنبيه

سبق ممّا مرّ أنّ عيسى ينزل وقت صلاة الصّبح وفي بعض الأخبار أنّه وقت العصر وقد فصّل الشيخ في كتاب الإشاعة في هذا الموضوع فقال ص ٢٣٥ من الإشاعة بعد إيراده لنزوله والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام قال لا ينافي هذا ما في الأحاديث الصّحيحة أنّ عيسى عليه السلام يقتدي بالمهدي في صلاة الصّبح ويقول إنّها لك أقيمتْ لما يأتي في قصّة الدّجال في الجمع بين اختلاف الرّوايات أنّ المهدي حين نزول عيسى عليه السلام بدمشق يكون ببيت المقدس فيكون الذي يتنحّىٰ له أمير المهدي على دمشق ويوضّحه أنّ هذا في صلاة العصر ، وأنّ تقدّم المهدي واقتداء عيسى عليه السّلام به في صلاة الصّبح اهـ .

هذا وتتميمًا للفائدة نضع أمام القارئ مواضع من حياة المسيح ابن مريم اختلفوا فيها ليتّضع أنّ هذه الاختلافاتِ لا تضرُّ في الدّين ولا تؤثّر في العقيدة وإنّما هي مجالاتٌ للاجتهادات ومنها على سبيل المثال :

مواضع خلافيّة في شأن المسيح

١ ـ كلمة المسيح ورد فيها ٢٣ معنى في التذكرة ص ٦٧٩ وبلّغها إلى ٢٥ قولًا القرطبي .

٢ ـ نسبةُ عليه السلام إلى داود عليه السلام .

٣ ـ عدد ساعات حمل مريم به .

٤ ـ شخصيّة هارون المشبّه به مريم في قولهم يا أخت هارون .

٥ ـ صلة زكرياء بمريم .

٦ ـ نوعيّة الأقلام التي اقترعوا بها لاستحقاق كفالة مريم .

٧ ـ متى سلمت مريم أمُّها إلى العُبَّادِ .

٨ ـ كيف رفع قبل موتٍ أو أحيي للرفع بعد الموت .

٩ ـ ساعاتُ وفاته لدى الّذين قالوا أنّه أميت ثمّ أحيي فرفع .

١٠ ـ وقتُ نزوله ومجيئه من بين الآيات العشر لقيام السّاعة .

١١ ـ كم يمكث بعد النّزول .

١٢ ـ أين يدفن بعد موته .

ومثل هذه جميعًا ككلمة التوفّي في شأنه كما مرّ واللَّه أعلم .

* * * *

ملخص أطوار حياة المسيح

ثمّ نعود فنلخّص حياة المسيح في ثلاث محاور :

الأوّل : رفعه عليه السلام إلى السّماء وهو قطعي الدّلالة والثّبوتِ .

الثّاني : نزوله آخر الزّمان وهو أيضا قطعي الدلالة والثبوتِ فالجاحد لهذين أو الشاكّ فيهما كافر حلال الدّم لورود النصوص القطعيّة بهما قرآنًا وحديثا .

الثالث : صفة الرّفع فبعد اتّفاقهم على أنّه رفع حيًّا واختلفوا هل ماتَ أوّلًا ثمّ أحيي للرّفع أو لم يمت أصلًا ونفي أحد هذين بالعقيدة ولا يؤثر في الدّين لأنّه محلّ نظر وموضع اجتهادٍ .

هذا ما تيسر جمعه في الموضوع ونسأل اللّه تعالى أن يمنّ علينا وعلى إخواننا بالتّوفيق والسّداد وأن يتقبّل صالح أعمالنا ويهدينا سواء السّبيل بمنه وكرمه آمين وصلى اللّه وسلّم على سيّدنا محمد وآله أجمعين .

****

المصادر والمراجع للبحث أهمّها

« القرآن الكريم » :

١ ـ تفسير الجلالين .

٢ ـ تفسير المؤمنين .

٣ ـ المصحف الميسر .

٤ ـ أحكام القرآن .

٥ ـ ابن كثير .

٦ ـ مختصر ابن كثير .

٧ ـ زاد المسير .

٨ ـ صفوة التفاسير .

٩ ـ فتح القدير .

١٠ ـ جامع البيان .

١١ ـ لباب التأويل .

١٢ ـ مدارك التنزيل .

١٣ ـ روح المعاني .

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن .

« الحديث النبوي الشّريف » :

١ ـ صحيح البخاري مع الفتح .

٢ ـ صحيح مسلم مع الأبّي .

٣ ـ سنن أبو داود .

٤ ـ سنن الترّمذي .

٥ ـ سنن النّسائي .

٦ ـ سنن ابن ماجه .

٧ ـ موطّأ مالكٍ .

٨ ـ مسند أحمد .

٩ ـ فتح المنعم على زاد المسلم .

« كتب أخرى إضافية » :

١ ـ الإشاعة لأشراط السّاعة .

٢ ـ التذكرة في أحوال الموتى والآخرة .

٣ ـ قصص الأنبياء لابن كثير .

٤ ـ النبوّة والأنبياء .

٥ ـ قصص القرآن .

* * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدّمة البحث	٥
عمران والد مريم	٧
مريم العذراء	٩
المسيح عيسى عليه السلام	١٤
الآية الأولى في شأن المسيح	١٩
ياعيسى إنّي متوفّيك	١٩
الآية الثانية وما قتلوه وما صلبوه	٢٧
الآية الثالثة وإنّه لعلم للساعة	٣١
أحاديث نزول المسيح عليه السلام متواترة	٣٤
بقايا أخباره عليه السّلام	٣٨
إقامته ولبثه في الأرض	٣٨
زواجه بعد نزوله عليه السلام	٣٩
مدفنه	٣٩
الحكمة من نزوله	٤١
حديث عشر آياتٍ قبيل السّاعة و الحكمة في تقديم الأشراط	٤٢
الجمع بين أحاديث نزوله صبحًا وعصرًا	٤٢
مواضع خلافيّة في شأن المسيح	٤٣
ملخص أطوار حياة المسيح	٤٤
أهمّ المراجع للبحث	٤٥
الفهرس للموضوعات	٤٧

* * * *

زبدة القول الصحيح

في أخبار سيدنا المسيح

عليه السلام